Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واتخذهم جندا له وعونًا ، ونظمهم مع **زناته** وسائر بطون البربر الأخرى ، وقويت شوكتهم فى أواخر أيامه ، وفى أيام ولديه **عبد الملك وعبد الرحمن** ، ورجحت كفتهم فى الجيش ، وحين سقطت الدولة العامرية شاركوا فى الفتن التى تلتها غنما وغرما ، ولعبوا دورًا بارزًا فى تدمير قرطبة ، خلال ماعرف بفتنة البربر عام ٤٠٣هـ - ١٠١٣م ، فقد اقتحموها فى مناظر مروعة من العبث والسفك والنهب وأتوا على مدينة الزهراء الرائعة الجمال بأكملها ، وقد رأى الخليفة **المستعين** أن يفرق البربر فى الكور والثغور ، تخفيفًا لضغطهم على العاصمة ، فأقطع قبيلة **صنهاجة** وزعماءها من **بنى زيرى** ولاية إلبيرة .

ولما رأت **صنهاجة** تفكك الدولة ، واستقلال كل أمير ببلده ، عزموا على الرحيل عن الأندلس ، والجواز إلى العدوة ، ولكن أهل **إلبيرة** ، وكانوا فى بسطة من الرزق والثروة ، وسعة من الأرض وخصبها ونمائها ، دعوهم إلى البقاء معهم ، ومشاركتهم مايملكون ، على أن يتولوا الدفاع عنهم ، وقبل **زيرى** وقومه دعوتهم ، وطابت لهم الإقامة فيها ، وتعلقوا بها ، وقر رأيهم على الدفاع عنها ، ثم رأوها لا تصلح للدفاع ، فابتنوا فى البسيط الواقع على مقربة منها مدينة جديدة ينزلون بها ، وتكون معقلهم ، وهكذا قامت مدينة **غرناطة** ، على حين خربت إلبيرة ، وعفت ربوعها ولفها النسيان ، ونمت المدينة الجديدة سريعًا ، وأصبحت العاصمة ، وسوف تكون آخر مدينة تسقط فى يد الأعداء [٣]

على أن **زاوى** قرر العودة إلى أفريقية ، على الرغم من معارضة ولده ووجوه قومه ، وخرج عن غرناطة فى أهله وأمواله مستخلفًا عليها بعض شيوخ قبيلته ، ثم سعى **ابن أبى زمنين** قاضى غرناطة فى أن يعين **حبوس بن ماكسن** ابن أخى زيرى ، واليًا على غرناطة ، ويشيد **ابن حيان** ، وعاصر هذا العهد ، بخلال حبوس ، وأنه على قسوته «يصغى إلى الأدب» وينتمى فى العرب ، للأثر المقفو فى قومه صنهاجة ، وكان وقورًا حليمًا ، فظا مهيبًا ، نزر الكلام قليل الضحك ، كثير الفكر ، شديد الغضب ، شجاعًا حسن

---

(٣) عبد الله آخر ملوك بنى زيرى : كتاب التبيان ، ونشره ليفى بروفنسال بعنوان : مذكرات الأمير عبد الله ، ص ١٨ وما بعدها ، دار المعارف ، سلسلة ذخائر العرب ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٥٥ .